إضاءات نقدية (فصلية محكمة)
السنة العاشرة ـ العدد التاسع والثلاثون ـ خريف ١٣٩٩ش/ أيلول ٢٠٢٠م
صص ١٥١ ـ ١٣٣

تطبيق منهج السيميائية عند "ريفاتير" فى إعادة القراءة لقصيدة "العبور إلى المنفى" لِعدنان الصائغ

محمدعلى منجرى*
شمسى واقف‌زاده (الكاتبة المسؤولة)**

الملخص

فى منهج ريفاتير السيميائى المبتنى على نظرية التلقّى لدى القارئ، يمكن دراسة القصيدة الشعرية ضمن مستويين، هما القراءة الاستكشافية والقراءة الاسترجاعية. وفى هذه النظرية، تُكشَف بعض الجوانب الخفية للقصائد مع الاهتمام بالجوانب المختلفة لهيكل القصيدة، أى التراكم (التعابير المتراكمة) والأنظمة الوصفية والهيبوغرام أى الموضوعات الرئيسة والماتريس (النسيج) البنيوى، ويتجلّى أيضاً من خلال هذا المنهج التناسق والفكرة والمضامين التى تكمن وراء المعانى الظاهرية والسطحية للقصيدة. يتطرق هذا المقال إلى استخدام المنهجية السيميائية لريفاتير فى خطوةٍ لإعادة قرائة قصيدة "العبور إلى المنفى" لعدنان الصائغ، بأسلوب وصفى- تحليلى بهدف فهم واستيعاب القدرات والطبقات الخفية وتقديم قراءة جديدة لتلك القصيدة. فتُظهر نتائج البحث فى تحليل هذه القصيدة، أن التراكم فى القصيدة يتمحور حول "السلطة والسيطرة"، و"المعاناة والحزن"، و"الاستعمار"، و"النضال والاحتجاج"، والمنظومة الوصفية لـ "القطار"، و"المرأة"، و"الوطن"، و"المتهم". ويمكن كشف منشأ "الأوضاع المأساوية للماضى- وهى حالة ملازمة للقلق والحزن – واليأس من تحسن الأوضاع فى المستقبل". أما العناصر اللاقواعدية (الانزياحية) أو الصور البلاغية المستخدمة فى هذه القصيدة هى؛ الاستعارة، والتشبيه، والكناية، وكذلك مجاز الجزء من الكل. وقد تحوّل أصل دلالة هذه القصيدة إلى نص قصيدة "العبور إلى المنفى" من خلال ثلاث قواعد لتحديد العوامل المتعددة. فاكتشاف الماتريس (النسيج) البنيوى يثبت أن السيميائية الشعرية فى القصيدة، على الرغم من اختلافها فى المظهر، إلا أنها فى الواقع تعكس حقيقة واحدة وهى متغيرات (التعابير المتراكمة والمنظومة الوصفية) لصفة ثابتة (الهيبوغرام).

الكلمات الدليلية: السيميائية، ريفاتر، ماتريس، هيبوغرام، عدنان الصائغ.

*. طالب دكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها، فرع ورامين-پيشوا، **جامعة آزاد الإسلامية**، طهران، إيران
m_manjary@yahoo.com
. أستاذة مساعدة فى قسم اللغة الفارسية وآدابها، فرع ورامين-پيشوا، **جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران
shvaghefzadeh@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ١٣٩٩/٣/١٢ش تاريخ القبول: ١٣٩٩/٧/١٧ش

المقدمة

الموضوع والأهداف

ميكائيل ريفاتير[١]، ناقد فرنسي أمريكي، وأحد اللغويين البنيويين الذى اقترح أسلوباً سيميائياً لقراءة الشعر. طرح نظريته فى كتابه سيمياء الشعر[٢] (١٩٧٨م). فى منهج ريفاتير تُشرح أولاً العناصر التى تحدّد أدبيات النص ويكشف القارئ تلك العناصر معتمداً على قدرته الأدبية[٣] ويستخدمها فى تحليل النص. وفى كتابه سيمياء الشعر، قدّم ريفاتير أسلوبه على أساس مبادئ اعتبرها «انعكاسات عالمية للغة والأدب.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٩) لذلك يمكن قراءة قصائد جميع اللغات فى ضوء منهجه، بما فى ذلك العربية. وفى هذا الصدد، تهدف الدراسة الحالية إلى تحليل قصيدة "العبور إلى المنفى"[٤] لعدنان الصايغ[٥] على أساس نظرية ريفاتير السيميائية فى الشعر، لتبين العلامات الدلالية المستخدمة فى القصيدة ضمن تقديم أسلوبه وتطبيق هذه النظرية فى مجال الشعر العربى المعاصر. كتبت القصيدة فى فترة نفى الشاعر. فنظراً إلى الظروف الاجتماعية والسياسية للشاعر خلال هذه الفترة، يبدو أن استخدام الرموز والعلامات

1. Michael Riffaterre

2. Semiotics of poetry

٣. المقدرة الأدبية «معرفة القارئ بالمنظومات الوصفية، دلالات الأعمال الأدبية، الأساطير لاسيما معرفته بسائر النصوص الادبية.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٥) وهكذا، فإن القارئ الذى يمتلك القدرة الأدبية، فهو على سبيل المثال على دراية بمجموعة متنوعة من الأجناس الأدبية مثل الملحمة والهزل والشعر الغنائى والأساليب البلاغية وتوظيفها. وهو «فى عملية قراءة الشعر يندفع بموازات النص وشبكاته ويواجه باستمرار عقبات فى التفسير إلا أنه يتغلّب عليها.» (لبيهان وگرين، ١٣٨٣ش: ٢٧٩)

٤. هى قصيدة من ديوانه "تأبط المنفى" لعدنان الصائغ. وهذا العنوان يذكّرنا بشاعر من شعراء الصعاليک، وهو "تأبط شراً". واختار عدنان هذا الاسم لديوانه إشارة إلى كلمة الشر التى استبدلها بكلمة المنفى وهذا الاستبدال يساوى الدلالة التى تستشف من كلمتى الشر والمنفى. (بهجات، ٢٠١٠م: ٧٤)

٥. هو أحد كتّاب المدرسة الواقعية وأحد أبرز شعراء الحرب وجيل الثمانينيات من الشعراء العراقيين، ولد فى الكوفة عام ١٩٥٥م. لقد تبلورت فى شعره المشاكل الاجتماعية السياسية التى خلقها نظام صدام حسين والولايات المتحدة وحلفاؤها فى منطقة الخليج الفارسى وخاصة فى العراق. (الزريبى، ٢٠٠٨م: ٩) كما أنه «أحد شعراء المقاومة لأن المقاومة لا تقتصر على الوقوف فى وجه الأجانب، بل فى مواجهة الاستبداد الداخلى أيضاً». (صدقى، ١٣٩٤ش: ٤٣) تم نفى عدنان إلى بلدان مختلفة فى عام ١٩٩٣م بسبب تياراته الفكرية والسياسية.

فی الشـعر کان رائجاً. یمکن لنظریة ریفاتیر، مـن خلال تقدیم تحلیل منهجی للنص، أن تسـاعدنا فی تفسیر العلامات المستخدمة فی هذه القصیدة وفهم قصائد عدنان الصایغ بشکل أدق، ما یؤدی إلی انتقال العلامات من مستوی أدنی إلی مستویً آخر أعلی من الدلالة وهی المدلولیة.

منهج البحث

- فی هذا البحث الـذی اعتمد المنهج الوصفی التحلیلی، یتم اعتبار القصیدة أولاً کنص إبداعی ثم یتم تحدید التناقضات[۱] -
- الحـالات التی تمنع التوافق بین النص والواقع. فی الخطوة التالیة، تحدّد عملیات التراکم[۲] والأنظمة الوصفیة[۳] ثم یتم اکتشـاف الهیبوغرام[٤] ومن خلال الهیبوغرام

۱. یطلـق ریفاتیر علی التغییرات التی تجری فی اللغة العادیـة وتحوّلها إلی عمل أدبی، اللاقواعدیة. وهکذا، یعتبر القواعد التی تشـکل نظاماً دلالیاً فی لغة الشـعر یعتمد علی مرجعیة النص إلی الواقع، قواعـدَ نحویة. فی هذه الحالة، یسـتخدم الشـاعر تعابیر وعبـارات یتعرف علیها القـارئ فی العالم الخارجی فیدرک دلالتها أو مدلولیتها النظامیة، والشـاعر بإجرائه تغییراً فی بناء اللغة العادیة یحوّلها إلی اللاقواعدیة، وبهذا یتجاوز مستوی المحاکات إلی مستوی المدلولیة. (أبهریان، ۱۳۹۲ش: ۱۰)

۲. التعابیر المتراکمة: یعتقد ریفاتیر أن کل لفظة تتألف من معنی أو عدة معان مرکزیة لثابت لسلسـلة معینـة من المفـردات المترادفة التی تتمحور حولها. ویحدث التراکم حـین یواجه القارئ مجموعة من الکلمات المترادفة التی تتمحور حول دلالة واحدة هی الدلالة المرکزیة المشترکة أو الثابت. علی سبیل المثال إن الدلالة المرکزیة أو النواة الرئیسة لکلمة الزنبق، هی عبّاد الشمس وشقائق النعمان.» (برکت وافتخاری، ۱۳۸۹ش: ۱۱۵)

۳. المنظومـة الوصفیة: «هی سلسـلة من التعابـیر المتراکمة والمفردات المرادفـة التی تعبّر جمیعاً عن الدلالـة المعینة.» (ریفاتـیر، ۱۹۷۸م: ۳۹) فی المنظومة الوصفیة، تدور الأقمـار (الدوائر) حول نواة رئیسـیة، وهی مظهر من مظاهر هذه النواة، وکل منها تشـکّل جانباً من جوانب هذه النواة أو اللفظة الرئیسة. "فی المنظومة الوصفیة، تکون العلاقة افتراضیة ویتم التعبیر عنها من الکل إلی الجزء، والنواة مرتبطة بأقمارها أو دوائرها الدلالیة، وقد تحتوی علی العدید من التراکمات الدلالیة أو تتلقّی أجزاء من التراکمات الدلالیة." (نبی لو، ۱۳۹۰ش: ۸٦)

٤. من وجهة نظر ریفاتیر، إن الهیبوغرام، مجموعة کلمات موجودة مسـبقاً یشـار إلیها بعلامة شعریة. والهیبوغـرام یمکن أن یکون عبارةً أو سلسـلةً من الجمل التی قد تأتی مـن الصور النمطیة، أو نظاماً وصفیاً. «إن تداعی الألفاظ والمعانی (الهیبوغرام) عبارة عن صورة نمطیة فی ذهن القارئ تستحضرها کلمـة أو عبارة فی النص. وتداعی الألفاظ والمعانی هی فی الواقع قضایا رئیسـة «لها تعبیر واسـع ویتکرر بشتی العناوین وربما یکون غیر مألوف فی النص الشعری.» (م.ن) فی منهج ریفاتیر، یتم العثور

هذا. نتوصّل إلى الدلالة العميقة[١] فى القصيدة. وفى النهاية يتم تبيين عملية إنتاج النص[٢] كيفية تحويل الأصل (الدلالة المركزية) إلى النص فى هذا البحث.

على الهيبوغرام قبل اكتشاف النسيج البنيوى، ويرتبط الشعر بنسيجه البنيوى من خلال الهيبوغرام. وهذا النسيج البنيوى هو الذى يوحّد الشعر فى نهاية المطاف.» (سلدن وويدوسون، ١٣٨٤ش: ٨٥)

١. وفقاً لريفاتير، كل قصيدة عبارة عن مظاهر متعددة لفكرة معينة ويسمّى المنشأ أو الماتريس البنيوى، والوحدة البنيوية للنص هى نتيجة تحوّل هذا النسيج. ومنشأ الكلمة هو عبارة أو جملة بحيث يمكن إعادة كتابة نص القصيدة من جديد ولا يجوز استخدامها مباشرة فى القصيدة. «الشعر هو نتيجة تحوّل هيكل أو جملة بسيطة أو لفظة، إلى بيان مسهب أكثر تعقيداً. والإطار هو أمر افتراضى يعمل على الوظيفة النحوية والمعجمية للبنية يمكن تلخيصه فى كلمة واحدة. على أى حال، لم يتم العثور على الكلمة فى النص، بل يعمل الإطار أو النسيج دائماً على شكل متغيرات متتالية. ويحدّد العنصرُ الثابت أى النمط أو الأسلوب شكلَ هذه المتغيرات. فالنسيج والنمط والنص متغيرات فى بنية واحدة.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٨٩).

٢. إن عملية إنتاج النص فى منهج ريفاتير تحتوى على ثلاثة أسس:

الف) البسط: وهو أسلوب «تتحول فيه بنية النص فى النسيج إلى أشكال ومتغيرات معقدة.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٣٩) هذا الأسلوب يمكّن الشاعر من توزيع الدلالات المركزية فى النص الشعرى على شكل أجزاء مصغرة فى أنحاء النص المختلفة. ويصوّر كلاً من هذه الأجزاء فى أيقونات منفصلة. بعبارة أخرى، «إن أسلوب البسط يخرج دلالة النص من كونها رؤية شخصية وعامة إلى رؤية متعددة الجوانب وجزئية.» (پاينده، ١٣٨٦ش: ٧٧)

ب) قاعدة التحويل أو التحوير: تعنى فى منهج ريفاتير إجراء تغيير أو تعديل فى اللغة النظامية. والشاعر عند إنتاج النص الشعرى يستعمل تعابير وأنماطاً أدبية مألوفة يجرى عليها بعض التغييرات فيجعل النص الأدبى سلسة من حالات لاقواعدية. فالعناصر المستخدمة فى قاعدة التحويل «لها وظيفة مزدوجة؛ من ناحية تغير الصورة النمطية أو العبارات المألوفة ومن ناحية أخرى تدلّنا إلى النواة الدلالية للنص أو منشأ الدلالة ومتغيرات النسيج البنيوى.» (م.ن)

ج) دلالة المتغيرات متعددة العوامل: إن الكلمات داخل النتاج الأدبى لا تكون دالة باعتبار علاقتها المرجعية بعالم الواقع، بل إنها على العكس تكون دالة باعتبار علاقتها المرجعية مع علامات داخل العالم اللغوى من النص الشعرى. (أبهريان، ١٣٩٢ش: ١٥) «إن المتغيرات متعددة الجوانب للدوالّ فى النص الشعرى، يوهم للقارئ أن هناك عناصر دلالية ثابتة تتكرر فى النص. وجميع هذه العناصر الدلالية مترابطة مع متغيرات مشابهة تعود لثابتٍ هو النواة الدلالية أو (الهيبوغرام) وتظهر على أنها متغيرات للنسيج البنيوى.» (پاينده، ١٣٨٦ش: ١٠٧) فى الواقع، إن المتغيرات متعددة العوامل هى خلق ألفاظ متعددة من لفظة واحدة تخلق علامات مغلقة داخل النص: «إن تأثير المتغيرات متعددة الجوانب يكمن فى تسرب دلالة الكلمة إلى عدة كلمات، يبدو وكأن تلك الكلمة تشبّع الجملة بأكملها بالدلالة الأصلية وبالطريقة التى تجعل القارئ يشعر أن الجملة تشكّل بشكل ثابتٍ وصريح تلك الدلالةَ التى استمدّها من نفس الكلمة.» (ريفاتير، ١٩٧٨ش: ٥)

أسئلة البحث

- كيف تتم عملية كشف البنية العميقة لقصيدة "العبور إلى المنفى"؟
- ما هى الأسلوبية البنيوية فى هذه القصيدة؟
- أياً من العناصر الانزياحية أكثر استخداماً فى هذه القصيدة؟
- ما هى الدلالات العميقة فى قصيدة "العبور إلى المنفى" المبنية على نظرية ريفاتير؟

فرضيات البحث

ويفترض أن:

- تحول النسيج البنيوى وأصل المدلولية إلى قصيدة "العبور إلى المنفى" من خلال ثلاث قواعد وأساليب؛ المتغيرات المتعددة العوامل، التحويل والبسط.
- إن العابير المتراكمة والأنظمة الوصفية هى من ضمن الأسلوبية البنيوية لهذه القصيدة.
- والعناصر الانزياحية مثل التشبيه والاستعارة هى أكثر استخداماً فى القصيدة من غيرها.
- محور الدلالة العميقة فى هذه القصيدة، يدور حول الخوف والقلق واليأس.

خلفية البحث

هناك دراسات ضئيلة تطرقت إلى شرح منهج ريفاتير وتطبيقه فى الأدب العربى، بما فى ذلک:

- أبهريان، سعيد. (١٣٩٢ش). تحليل مجموعه آينه‌اى براى صداها بر اساس نظريه‌ى نشانه‌شناسى شعر مايكل ريفتر (تحليل مجموعة مرآة للأصوات على ضوء نظرية ريفاتير السيميائية) فى هذه الرسالة، حاول المؤلف تطبيق منهج ريفاتير السيميائية فى بعض قصائد شفيعى كدكنى، ليتوصل إلى الشبكة الدلالية والأنظمة الوصفية والنواة الدلالية فى هذه القصيدة.

- اصغری، محمد جعفر وسمیرا حیدری راد، کمال دهقانی اشکذری (۱۳۹۸ش). دراسة سیمیائیة فی قصیدتی "التینة الحمقاء" لأیلیا أبی ماضی و"صنوبران" لمحمد جواد محبّت علی ضوء نظریة ریفاتیر. مجلة الجمعیة الإیرانیة للغة العربیة وآدابها. المجلد ۱۵، العدد ۵۲. فی هذه المقالة، شرح الکاتب البنیة الدلالیة المشترکة بین القصیدتین، وکشف التراکم الدلالی المشترک بین القصتین، بما فی ذلک الأنانیة والقسوة والدمار. وقد توحّدت القصیدتین فی هیبوغرام مشترک بینهما، وهو الحیاة القائمة علی الصداقة والصدق بعیدة عن حالة العُجب والغطرسة.
- آلگونه جوقانی، مسعود. (۱۳۹۶ش). کاربست الگوی نشانه‌شناختی ریفاتیر در خوانش شعر (تطبیق منهج ریفاتیر السیمیائی فی قراءة الشعر). پژوهش ادبیات معاصر جهان. المجلد۲۲. العدد۱. حاول الکاتب فی هذه المقالة أن یشرح بعض الموضوعات مثل العناصر الانزیاحیة، التعابیر المتراکمة، المنظومة الوصفیة، الماتریس البنیوی، النماذج وأجواء النص.
- تنها، فاطمه. نشانه‌شناسی ادبیات پایداری عراق با تکیه بر رویکرد نشانه شناسی مایکل ریفاتر(سعدی یوسف، جواد الحطاب ویحیی السماوی) (سیمیائیة أدب المقاومة فی العراق بناء علی منهج ریفاتیر السیمیائی، سعدی یوسف، جواد الحطّاب ویحیی السماوی نموذجاً). جامعة شهید مدنی آذربایجان. وقد حاولت الکاتبة فی هذه الرسالة تطبیق منهج ریفاتیر السیمیائی فی بعض قصائد شعراء المقاومة المذکورین والوصول إلی الشبکات الدلالیة والمنظومة الوصفیة والنواة الدلالیة (الهیبوغرام) فی هذه القصائد.
- أریس بودی راهارجور (۲۰۱۸م). إیدیولوجیة حب الوطن من الشعر "مساء الخیر یا وطنی" لعبد الرحمن صالح العشماوی (دراسة سیمیوطیقیة لمیکائیل ریفاتیر)، جامعة مولانا مالک إبراهیم الإسلامیة الحکومیة ملانج، ویذکر الکاتب فی هذه الرسالة أن العشماوی یصور جهاد الشباب الفلسطینی فی قصیدته ویدعو العالم العربی إلی الاهتمام بالحدث الفلسطینی والتأمل فیه. ویحاول الشاعر أن یصل إلی الطبقات الخفیة فی هذه القصیدة بقراءة استرجاعیة من

خلال نظرية ريفاتير السيميائية.

وهناك دراسات جرت أيضاً فيما يخص ديوان "تأبط منفى" لعدنان الصائغ، وهي:

- خضرى، على ورسول بلاوى وآمنة آبگون. (١٣٩٤ش). تجليات الغربة وظواهرها في أشعار عدنان الصائغ ديوانا "تأبّط منفى" و"تكوينات" نموذجاً. مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها. العدد ٣٦. تظهر نتائج هذه الدراسة أن الشاعر على الرغم من كونه بعيداً عن الوطن، فإنه لا يزال متعلّقاً بأصدقائه وأقاربه وربوع وطنه في العراق، ويعبّر عن حزنه بطريقة بسيطة بعيدة عن التصنّع والتعقيد اللفظي.
- بهجات، عاطف. (١٩١٠م). انشطار الذات في ديوان تأبّط منفى لعدنان الصائغ. مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، العدد ٢٣، مجلد١. تطرق الكاتب إلى سبب تسمية الديوان بـ"تأبط منفى"، أولاً ثم قام بدراسة تشتت الذات الفردية والانطلاق في قصائد متعددة من ديوانه، معتقداً أن الشاعر في حال صراع بين الماضي والحاضر.
- الزريبي، وليد. (٢٠٠٨م). عدنان الصائغ تأبط منفى حوار ومنتخات شعرية. تونس. وهو نتيجة مقابلة أجراها الكاتب مع الشاعر نفسه عن حياته وأعماله وأفكاره. في هذه الدراسة.

قام هذا البحث بتحليل ودراسة قصيدة "العبور إلى المنفى" وفق المنهج السيميائي لمايكل ريفاتير، وحتى الآن لم تتطرق أي دراسة إلى هذه القصيدة بهذا المنهج.

منهج "ريفاتير" السيميائي

إن الإجراء السيميائي متصل بمفهوم القراءة وهو يمر بمرحلتين من هذه القراءة؛ الأولى تسمى "القراءة الاستكشافية"[١]، أو استرشادية وهي المرحلة الأولى من فك

١. في القراءة الاستكشافية، يسعى القارئ إلى فهم الدلالة. ويحاول في إرجاع الكلمات إلى عالم غير لفظي أي عالم الواقع. بعبارة أخرى «يقارن الكلمات حسب الأشياء والنص بأكمله حسب الواقع.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٢٦) هذه القراءة تتحكم على القارئ معرفته بمعجم الألفاظ ويفهم الدلالات حسب ما جاء في المعجم وبالنتيجة تكون قراءته وفهمه للدلالة من خلال آلية المرجعية والمحاكاة والمستوى الأدنى للنص الشعري. (أبهريان، ١٣٩٢ش: ١١)

الشـفرات فى النص الشعرى، واتجاهه يسـير فى اتجاه حركة القصيدة، أى من الأعلى إلى الأسفل ومن السطر الأول إلى السطر الأخير. فى هذه القراءة، يعتبر القارئ، بالنظر إلـى مقدرته اللغوية، كل لفظـة بمثابة دلالة مرتبطة بمعناها فى العـالم الواقعى وبالتالى يصل إلى فهم وإدراك معنى القصيدة واسـتيعابها بالشكل المطلوب. (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٥) والمرحلة الثانية هى القراءة العميقة التأويلية وتسـمّى "القراءة الاسـترجاعية"[١] أو "القـراءة الراجعة" من خلال قراءة الفرضية التى تشـكلت فى القراءة الاستكشـافية، يتجاوز القارئ مستوى المعنى ويبحث عن المدلولية[٢] فى القصيدة، ويشكل أخيراً الشبكة الدلاليـة فى النص الشـعرى، وهى قضية أساسـية تحكم على توفـر الوحدة العضوية للقصيدة. (المرجع نفسـه: ٦) بعبـارة أخرى، يتوصل القارئ إلـى "التعابير المتراكمة"، "المنظومـة الوصفية" و"الهيبوغرام" من خلال القراءة الاسـترجاعية أو غير المباشـرة، ويصـل إلى "الماتريـس" البنيوى للقصيـدة، وأخيراً يعطى الماتريس (النسـيج) وحدة للقصيـدة. (فياض‌منش، ١٣٩٥ش: ١٤١) لذلك، يمكن القول إن العلامة الشـعرية هى مـن جهة تعدّ النتـاج النهائى لإبداع النص الأدبى ومن جهـة أخرى تعتبر نقطة بداية للتفسير. أى أن القارئ يقلل من العلامات الشعرية المتعددة إلى ثابت واحد وما يعرف بالهيبوغرام ضمن أسـلوب تفسـيرى موحد للنص الأدبى. ثم يحاول إعادة بناء النسيج

١. فى القراءة الاسترجاعية يتمكّن القارئ الذى يمتلك القدرة الأدبية لقراءة النص من إدراك العناصر اللاقواعدية فيقوده ذلك إلى مراجعة النص وتغير ما تم فهمه فى المرحلة الأولى فيقوم بفك شفرات الكلمـات الدلالية ليتوصل إلى مدلولية النص. «فى المرحلة الثانية، أو القراءة الراجعة التى يسـمّها ريفاتـير التأويليـة، يبدأ القارئ بفك رموز النص مع مراجعة ما قرأه فـى المرحلة الأولى.» (پاينده، ١٣٨٦ش : ١٠٠) وهكذا، تصبح حواجز القراءة غير المتسـقة فى المسـتوى الأدنى (الاستكشـافى) أساسـاً للقراءة الجديدة. وتسـوق القارئ إلى المسـتوى المدلولية واحدة العلامة ويحصل على مفتاح المدلولية فى نطاق أوسع.» (ريفاتير ، ١٩٧٨م: ٦)

٢. لقـد ميز ريفاتير بين الدلالة والمدلولية فى قراءته للنص الشـعرى. فـى رأيه، إذا اعتبرنا القصيدة سلسلة من العبارات فإننا نقتصر اهتمامنا على معناها الظاهرى، وهذا المعنى الظاهرى أو السطحى يعـبّر عن معلومات وأخبـار تتعلق بالقصيدة لا غير. فى حين أن التأثير المباشـر يحدثه اللامتوقع أو اللاقواعدية فى عنصر من السلسـلة الكلامية بالنسـبة إلى عنصر سابق. يعتقد ريفاتير أن أبرز سمات الشعر يكمن فى وحدة النص ويطلق على هذه الوحدة الشكلية والدلالية التى تمانع فى عرض النص الشعرى بصورة مباشرة، المدلولية.

البنيــوى (الماتريس) من خلال تحديــد الثابت أو النواة الدلالية للنــص. وبالتالى، إذا كان الشــاعر يخلق النص الشعرى من خلال تبنى لفظ واحد وبسطه، فالقارئ أيضاً فى تفسيره للموضوع، يتوصل إلى نوع من الإبداع فى الاتجاه المعاكس. (آلگونه جونقانى، ١٣٩٦ش: ٤١)

تطبيق منهج ريفاتير السيميائى فى إعادة قراءة قصيدة "العبور إلى المنفى"

"العبور إلى المنفى"
أنينُ القطارِ يثيرُ شجنَ الأنفاقْ
هادراً على سِكَّةِ الذكرياتِ الطويلة
وأنا مُسمَّرٌ إلى النافذةِ
بنصفِ قلب
تاركاً نصفَهُ الآخرَ على الطاولة
يلعبُ البوكرَ مع فتاةٍ حسيرةِ الفخذين
تسألُنى بألمٍ وذهول
لماذا أصابعى مُتهرِّئة
كخشبِ التوابيتِ المُستَهلَكَة
وعجولة كأنَّها تخشى ألّا تُمسِك شيئاً
فأُحدِّثُها عن الوطن
واللافتاتِ
والاستعمار
وأمجادِ الأُمّة
والمضاجعاتِ الأولى فى المراحيض
فتميلُ بشَعرِها النثيثِ على دموعى ولا تفهم
وفى الرُكْنِ الآخرِ
ينثُرُ موزارت توقيعاتِهِ على السهوبِ

...المُغطَّاة بالثلج
وطنى حزينٌ أكثر مِمَّا يجب
وأُغنياتى جامحةٌ وشرسة وخجولة
سأتمدَّدُ على أولِ رصيفٍ أراهُ فى أوربا
رافعاً ساقى أمام المارّةِ
لأُرِيهم فلقاتِ المدارسِ والمعتقلاتِ
التى أَوْصَلَتنى إلى هنا
ليس ما أَحمِلُهُ فى جيوبى جوازُ سفر
وإنَّما تاريخُ قهر
حيث خمسون عاماً ونحن نجترُّ العلفَ
.... والخطابات
وسجائرَ اللفِّ ..
حيث نقفُ أمام المشانق
نتطلَّعُ إلى جثثِنا الملولحة
ونُصفِّقُ للحكّام
خوفاً على ملفَّاتِ أهلِنا المحفوظةِ فى أقبيةِ الأمن..
حيث الوطن
يبدأُ من خطابِ الرئيس
وينتهى بخطابِ الرئيس..
مروراً بشوارعِ الرئيس، وأغانى الرئيس، ومتاحفِ الرئيس، ومكارمِ الرئيس،
وأشجارِ الرئيس، ومعاملِ الرئيس، وصحفِ الرئيس،
وإسطبلِ الرئيس، وغيومِ الرئيس، ومعسكراتِ الرئيس،
وتماثيل الرئيس، وأفرانِ الرئيس، وأنواطِ الرئيس،
ومحظياتِ الرئيس، ومدارس الرئيس، ومزارع الرئيس وطقس
ستُحدِّقُ طويلاً

في عينى المبتلَّتين بالمطرِ والبصاق
وتسألُنى من أى بلادٍ أنا...

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٩١-٩٠)

القراءة الاستكشافية

هناك سلسلة من العناصر والتعابير مثل "أنين الأنفاق"، "سكة الذكريات الطويلة"، "الأصابع المتهرئة كخشب التوابيت"، "الوطن الحزين"، "أغنيات جامحة وشرسة وخجولة"، "تاريخ قهر"، "اجترار العلف والخطابات وسجائر اللف"، و ... تمثّل حالات اللاقواعدية أو مواضع الخروج عن النظام فى ثنايا النص. نظراً إلى أن هذه العناصر أو التعابير ترفض المعنى الظاهرى والسطحى وتعكس مفارقة للواقع، يمكن القول إن هناك معنى آخر يكمن فى عمق البناء الشعرى (أصغرى وآخرون، ١٣٩٨م: ٨٠). ووفقاً لمنهج ريفاتير، إن اكتشاف مدلولية النص يستوجب على القارئ أن يدرس الألفاظ وعناصرها الدلالية المشتركة وأن ينتبه إلى العناصر التعبيرية حتى يشعر بأبعادها الدلالية وتميزها. لهذا الغرض، نقوم أولاً بدراسة التعابير المتراكمة والمنظومة الوصفية فى القصيدة.

دراسة ركائز بناء النص الشعرى[1]

التعابير المتراكمة

فى قصيدة "العبور إلى المنفى، هناك سلسلة من من الألفاظ أو التعابير التى ترتبط مع بعضها من خلال المشاركة فى عنصر دلالى موحد:

العنصر الدلالى المشترك للألفاظ المتراكمة فى السلسلة الأولى يدور حول معنى "السلطة والهيمنة":

السلطة والهيمنة
الاستعمار، أقبية الأمن، الرئيس، المعسكرات، الخطابات، الفلقات، المعتقلات، الصحف

١. إن عملية بناء النص فى منهج ريفاتير يحتوى على التعابير المتراكمة والمنظومة الوصفية.

العنصر الدلالى المشــترک للألفاظ المتراكمة فى السلســلة الثانية يدور حول معنى "المعاناة والألم والحزن":

المعاناة والألم والحزن
اجترار العلف، العيون المبتلّة، الأصابع المتهرئة، المعتقلات، ألم وذهول، خوف

٢ -١

العنصر الدلالى المشــترک للكلمات المتراكمة فى السلسلة الثالثة يدور حول معنى "الاستعمار":

الاستعمار
وطنــى حزين، اجترار العلف، نصفّــق للحكام خوفاً، أهلنا المحفوظة فى أقبية الأمن، يبــدأ من خطاب الرئيس وينتهى بخطاب الرئيس: مروراً بشــوارعِ الرئيس، وأغانى الرئيس، ومتاحــفِ الرئيس، ومكارمِ الرئيس، وأشــجارِ الرئيس، ومعاملِ الرئيس، وصحفِ الرئيس، وإسطبلِ الرئيس، وغيومِ الرئيس و... فى قبضة الرئيس

٣ -١

العنصر الدلالى المشــترک للكلمات المتراكمة فى السلسلة الرابعة يدور حول معنى "النضال والاحتجاج":

النضال والاحتجاج
أغنيات جامحة، فلقات المدارس، المعتقلات، جواز ســفر، المشــانق، الجثث الملولحة، ملفات، البصاق، العينين المبتلّتين، الأصابع المتهرئة، المعتقلات، الخوف

المنظومة الوصفية

فى قصيــدة "العبور إلى المنفى" هنــاک أربع منظومات وصفية تركــز على "القطار والمرأة والوطن والمتهم":

القطار
الحركة السريعة
شجن الأنفاق
أنين القطار
سكة الذكريات الطويلة
النافذة

٢ – ١

المتهم
الدموع
المضاجعات في المراحيض
المشانق
مسمّر إلى النافذة
العينين المبتلّتين
نصف القلب
يلعب البوكر
رافعا ساقي
الجثث الملوحة

٢ – ٢

المرأة
الألم
حسيرة الفخذين
الركن
المضاجعة
الذهول
الشعر النثيث
الأصابع المتهرئة

٢ – ٣

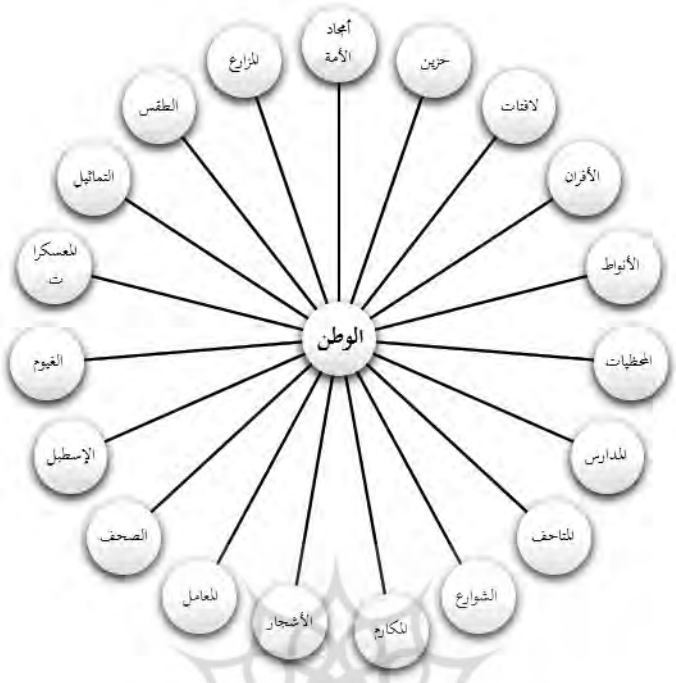

٤-٢

العناصر اللاقواعدية (الانزياحية)

بدراسة ركائز بناء النص الشعرى فى القصيدة والمتمثلة تحديداً بالتعابير المتراكمة والمنظومات الوصفية، يمكن القول إن العناصر أو العلامات اللاقواعدية فى ركيزة التعابير المتراكمة، ظهرت فى تعابير استعارية كـ "الأغنيات الجامحة والشرسة والخجولة"، "تاريخ قهر"، "اجترار الخطابات"، "اجترار سجائر اللف"، و... وكذلک فى استعمال تعابير تشبيهية كـ "الأصابع المتهرئة كخشب التوابيت". وفى ركائز المنظومة الوصفية تظهر هذه العلامات اللاقواعدية فى تعابير استعارية كـ "شجن الأنفاق"، "سكة الذكريات الطويلة"، "الوطن الحزين"، والتعابير التشبيهية كـ"الأصابع المتهرئة كخشب التوابيت"، والكناية مثل: "تميل بشعرها النثيث على دموعى" (الاتكاء على الدموع) و... وكذلک المجاز اللغوى فى علاقة الجزء بالكل. نلاحظ فى المنظومة الوصفية، أن كل دائرة تدور حول "النواة الدلالية" تعدّ مظهراً من مظاهر النواة الدلالية. فالنواة الدلالية المعينة تمثّل العنصر الثابت وهى بمثابة الكل والدوائر الدلالية التى تدور حول هذا المحور

بمثابة الأجزاء التى تحمل مدلولية التغير.

الهيبوغرام[1]

إن ما توصّلنا إليه من خلال دراسة رعناصر التعابير المتراكمة والمنظومة الوصفية يمكن دراسته فى عنصر الهيبوغرام أيضاً. وهناك هيبوغرامات ومضامين ثابتة يمكن الحصول عليها فى قصيدة "العبور إلى المنفى":

١- الفترة الماضية المليئة بالفوضى والفتنة والظلم والاضطهاد وهيمنة الطغاة والمستعمرين (تاريخ قهر)

٢- القلق والحزن، التشرد، والإرغام على المغادرة وترك البلاد يلقى بظلاله على الحاضر.

٣- مستقبل مجهول ومظلم، كله حزن وألم ويأس بانتظار الشاعر.

تحديد المرجعية

وفق منهج ريفاتير، فإن المرجعية أو النسيج البنيوى يجب أن يكون على نحوٍ يمكنه إنتاج الهيبوغرام (بنية موضوعية واحدة) والنص الشعرى ويخلق الوحدة فى بنية النص. فى قصيدة "العبور إلى المنفى" حصلنا على النسيج البنيوى التالى:

حالة متدهورة ومأساوية للماضى – الحاضر المقترن بالقلق والحزن – ولا أمل فى تحسين الأوضاع فى المستقبل

عملية بناء النص

إن النسيج البنيوى فى هذه القصيدة تحوّل إلى "العبور إلى المنفى" من خلال ثلاثة أسس هى؛ متغيرات متعددة العوامل، التحول أو الإحالة، البسط:

أسس المتغيرات متعددة العوامل

نتيجة لهذه القاعدة، فإن الدلالات المتعددة (المتغيرات) فى هذه القصيدة لا ترجع

1. Hypogram.

إلى مدلولها الحقيقى، وإنما إلى إشارات ودلالات أخرى داخل النص. ونشير إلى بعض هذه المتغيرات وهى:

النفى ⟵⟶ الأغنيات الجامحة، فلقات المدارس، فلثات المعتقلات، جواز سفر، المشانق، الجثث الملولحة، الملفات، البصاق، العيون المبتلّة، الأصابع المتهرئة، السجن، الخوف.

نظام الهيمنة ⟵⟶ الاستعمار، أقبية الأمن، الرئيس، المعسكرات، الخطاب، الجلد، الأسر، الصحف.

قاعدة التحويل أو الإحالة

الإحالة تجربة تنحصر فى الإبداعات الأدبية التى تشكل ثقافة تسهم فى تقبّل أنماط متحددة من الإبداع وخلق دلالات لا حصر لها وهو ما يعرف بالتناص ويلعب دوراً أساسياً فى تمويه المعنى وتحويله نحو قابلية النص للتدليل. وهنا إشارة إلى بعض نماذج الإحالة فى قصيدة "العبور إلى المنفى" على النحو التالى:

البلد يبدأ وينتهى بكلمات الرئيس. الشوارع والأغانى والمتاحف والتبرعات والأشجار والمعامل والصحف والإسطبل والغيوم والمعسكرات والتماثيل والأفران والأنواط والمحظيات والمدارس والمزارع والطقس جميعها ملك للرئيس. وهذا يذكّرنا بالمثل الإيرانى الذى يقول: بأن ممتلكاتى الخاصة بى ملكى وممتلكات الناس أيضاً هى ملكٌ لى، ويشير هذا المثل إلى المعتدين الذين لا يمتنعون عن التعدى على ممتلكات الآخرين. ومن هذا المنطلق ينطبق المثل على هيبوغرام القصيدة وهو الهيمنة والاستعمار.

أسلوب البسط

نتيجة لبسط المضامين ودلالات النسيج البنيوى فى النص الشعرى، يقوم الشاعر بخلق متغيرات متعددة ومنفصلة وإبداع صور متعددة تتكرر فى مقاطع النص الشعرى المختلفة. فى هذه القصيدة تتوسع متغيرات النسيج البنيوى على النحو التالى:

الأوضاع المتدهورة والمأساوية فى الماضى	حالة الخوف والقلق والألم السائدة فى الوقت الراهن	اليأس من تحسين الأوضاع فى المستقبل
الحديث عن الوطن- اللافتات- الاستعمار- أمجاد الأمة والمضاجعات الأولى فى المراحيض-الأصابع المتهرئة-ينثر موزارت تواقيعه على السهوب- الوطن الحزين- فلقات المدارس-	مسمّر إلى النافذة بنصف قلب- تاركاً نصفه الآخر على الطاولة- يلعب البوكر .. – تميل على دموعى- فلقات المعتقلات- اجترار العلف، اجترار الخطابات وسجائر اللف –التصفيق خوفاً من الملفات- العيون المبتلّة- كل شيء للرئيس.	أنين القطار يثير شجن الأنفاق – هادراً على سكة الذكريات الطويلة- جواز سفر- الوقوف أمام المشانق-

النتيجة

وفقاً لنظرية ريفاتير، إن مدلولية النص الشعرى لا تفسّر عادة بظاهر الدلالة. وتتميز أدبية النص بمساهمة المتلقى فى إنتاج الدلالة أو الدلالات الممكنة، بحيث لم يعد القارئ طرفا مستهلكا للنص الإبداعى بل عنصراً منتجاً وحيوياً فى كل مراحل الخلق والإبداع. ولهذا السبب يقترح ريفاتير ألا ينطلق المحلل الأسلوبى من النص مباشرة وإنما ينطلق من الأحكام التى يبديها مجموع القراءة حوله لأن تلك الأحكام عبارة عن مثيرات أو استجابات نتجت عن منبّهات كامنة فى صلب النص. فالأسلوب بهذا المعنى توترٌ دائم بين أحداث النص، ويؤثر فى خلق الدلالات. والتعقيدات الدلالية فى النص لها مبادئ توجيهية تلفت انتباه القارئ إلى المدلولية وجوانبها السيميائية. فى هذه الدراسة وبعد تطبيق منهج ريفاتير السيميائى على هذه القصيدة واستناداً إلى المقدرة الأدبية التى يمتلكها القارئ، من خلال تحديد اللاقواعدية، دراسة التعابير المتراكمة، المنظومة الوصفية، وتحديد الهيبوغرام والنسيج البنيوى، توصلنا إلى بنية موضوعية موحدة ومتسقة ما توحّد النص الأدبى وتحوّله إلى علامة واحدة إن جاز التعبير. ومن بين هذه النتائج التى توصل إليه البحث من خلال تطبيق منهج ريفاتير السيميائى فى إعادة قراءة لقصيدة "العبور إلى المنفى":

- فی تحلیل هذه القصیدة، توصل البحث إلی سلسلة معینة من المفردات تشکل "القوة والسیطرة"، "المعاناة والألم والحزن"، "الاستعمار"، "النضال والاحتجاج" نواتَها الرئیسة وما تعرف بالتعابیر المتراکمة والأنظمة الوصفیة المتمثّلة بـ "القطار"، "المرأة"، "الوطن" و"المتهم" والنسیج البنیوی فی الأوضاع المتدهورة والمأساویة فی الماضی – الوقت الراهن المقترن مع القلق والحزن – الیأس من تحسین الوضع فی المستقبل".
- والعناصر اللاقواعدیة أو الانزیاحیة فی القصیدة هی؛ الاستعارة، التشبیه، الکنایة، وکذلک علاقة الجزء من الکل.
- والهیبوغرام فی قصیدة "العبور إلی المنفی" هو:

١. الفترة الماضیة المملیئة بالفوضی، الفتن، الظلم والاضطهاد، هیمنة المستبدین والمستعمرین الأجانب.
٢. حالة القلق والخوف والحزن والتشرد والإرغام علی المغادرة السائدة علی الوقت الراهن.
٣. المستقبل المجهول والمظلم المملیء بالأحزان والیأس أمام الشاعر.

أما عملیة بناء النص بدأت بنسیج بنیوی تحوّل إلی نص قصیدة "العبور إلی المنفی" من خلال ثلاثة أسس هی؛ متغیرات متعددة العوامل، التحول أو الإحالة، والبسط.

المصادر والمراجع

ابهریان، سعید. (١٣٩٢ش). تحلیل مجموعه ی آینه ای برای صداها بر اساس نظریه ی نشانه شناسی شعر مایکل ریفاتر. رسالة ماجستیر: جامعة کردستان.

اصغری، محمد جعفر و سمیرا حیدری راد؛ کمال دهقانی اشکذری.(١٣٩٨ش). «دراسة سیمیائیة فی قصیدتی "التینة الحمقاء" لإیلیا أبی ماضی و"دوکاج" محمدجواد محبت علی ضوء نظریة ریفاتیر». مجلة الجمعیة العلمیة الایرانیة للغة العربیة وآدابها. السنة الخامسة عشر، العدد الثانی والخمسین. صص٨٢-٦٣

آلگونه جونقانی، مسعود. (١٣٩٦ش). «کاربست الگوی نشانه شناختی ریفاتر در خوانش شعر». پژوهش ادبیات معاصر جهان. السنة الثانیة والعشرین. العدد الأول. صص٥٧-٣٣

برکت، بهزاد ودیگران. (١٣٨٩ش). «نشانه شناسی شعر. کاربست نظریة مایکل ریفاتر بر شعر ای

مرزبرگهـر فروغ فرخـزاد». فصل‌نامة پژوهش‌های زبان وادبیات تطبیقی. السـنة الأولی. العدد٤. صص١٣٠-١٠٩

بهجـات، عاطف. (٢٠١٠م). «انشـطار الذات فی دیوان تأبط منفـی لعـدنـان الصـائغ». مجلة کلیة الآداب. جامعة بنها. مصر. العدد الثالث والعشرین. مجلد١. صص١١٣-٦٧

پاینده، حسین. (١٣٨٧ش). «نقـد شـعر آی آدمهـا سـرودة نیمـا یوشـیج از منظـر نشـانه شناسـی». نامـة فرهنگستان. السنة الرابعة. العدد العاشر. صص١١٣-٩٥

الزریبی، ولید. (٢٠٠٨م). عدنان الصائغ تأبط منفی: حوار ومنتخبات شـعریة. الطبعة الأولی. تونس: الشرکة التونسیة للنشر وتنمیة فنون الرسم.

سلدن، رامان و پیتر ویدوسون. (١٣٨٤ش). راهنمای نظریه ادبی معاصر. ترجمه عبّاس مخبر. طهران: نشر نو.

الصائغ، عدنان.(٢٠٠٤م). الأعمال الشعریة. بیروت: الموسسة العربیة للدراسات والنشر.

صدقی، حامد وسـیدعدنان اشکوری ودیگران. (١٣٩٤ش). «دراسة صدی المقاومة فی شعر عدنان الصائغ». إضاءات نقدیة فی الأدبین العربی والفارسـی (فصلیّة محکمة). السنة الخامسة. العدد التاسع عشر. صص٦١-٤١

فیاض منش، پرند و علی صفایی سـنگری. (زمسـتان ١٣٩٥ش). «خوانش شـعر "نوبت" بر اساس رویکرد نشـانه شناسـی مایکل ریفاتر». فصلنامه پژوهـش زبان و ادبیات فارسـی. العدد الثالث والأربعین. صص١٥٩-١٣٩

لبیهـان، جیل وکیت،گرین. (١٣٨٣ش). درسـنامه نظریه و نقد ادبی. ترجمـه گروه مترجمان. طهران: روزنگار.

نبی لو، علیرضا. (١٣٩٠ش). «کاربرد نظریة نشانه شناسی مایکـل ریفـاتر در تحلیـل شـعر ققنـوس نیمـا». فصلنامة پژوهش های زبان شـناختی در زبان های خارجی. السـنة الأولی. العدد الأول. صص ٨١-٩٤

-Riffaterre, Michael. (1978). Semiotics of Poetry. Bloomington: Indiana University Press.